



الإخوار المسلمون

الثلاثاء 19 أبريل 2016 12:03 م
كتب: محمد عبدالرحمن المرسي

الدكتور محمد عبد الرحمن المرسي يكتب

الابتلاء هو سنة الله في الأرض ، ولا بد أن يتعرض لها الإنسان بصورة أو بأخرى ، وعلم الله قديم سابق لا أول له ولا آخر ، لكن بهذا الابتلاء وذلك التمحيص تظهر الأحوال وتختبر على حقيقتها – والله عليم خبير بها قبل أن تظهر بل قبل أن يخلق الإنسان – والفئة المؤمنة التي تؤمن بالله هي معرضة أيضاً للابتلاء بكل أنواعه : " أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ " [العنكبوت : 2] ..

ن القلوب بيد الله عز وجل ، وهدايتها وتثبيتها مشيئة مطلقة لله في عبادته ، وهو سبحانه أعلم بهم فهو الذي خلقهم .

والإنسان المؤمن يكون دائماً على وجلٍ وخوفٍ من ذلك . ودائماً يسأل الله العافية ويلجأ بقلبه ولسانه إلى الله عز وجل يطلب منه العون والنيات ، وأن يعطيه العزم على الصبر على ذلك ، ويشكر الله إذا عافاه أو ثبته وأعانه ، ويرد الأمر كله لله .

أنواع ومجالات الابتلاء :

هناك ثلاثة أنواع في الابتلاء :

لابتلاء بالشر ، الابتلاء بالخير ، ابتلاء المجاهدين المؤمنين .

1- الابتلاء بالشر والخير من أمور الحياة كلها : " وَتَبْلُوكُمْ بِالنَّسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً " [الأنبياء : 35] .. " وَلَتَبْلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ " [البقرة : 155]

ولذنوب الإنسان ومعاصيه دور في ذلك : " كَذَلِكَ تَبْلُوكُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ " [الأعراف : 163]

2- الابتلاء بالنعمة ونجاح الإنسان في عمله ، مثله في ذلك مثل الابتلاء بالأذى والشدة :

وهذا سيدنا سليمان u يقول : " هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ " [النمل : 40] .. " إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " [الكهف : 7] .. " وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ " [المائدة : 48] .. " وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ " [الأنعام : 165] ..

3- إيذاء المؤمنين المجاهدين من المحاربين لهم من الكفار :

وهذا الإيذاء يشمل كل شيء : النفس والمال وغير ذلك ، وقد تطول مدته حتى يرفعه الله عز وجل " لِيَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ آسَرْتُمْ أَدَىٰ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " [آل عمران : 186] ..

وقد يصل الابتلاء درجة شديدة جداً : " هَتَالِكَ الْبُتْلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا " [الأحزاب : 11] .. " حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى تَصْطَرُّ اللَّهُ أَلَا إِنَّ تَصْطَرُّ اللَّهُ قَرِيبٌ " [البقرة : 214] .. " وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ " [البقرة : 49] ..

وقد وصف الله مكر وخطط هؤلاء الكافرين ضد المؤمنين : " وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ " [إبراهيم : 46] ..

الفرز والتمحيص :

مليتي التمحيص والفرز ، عمليتان مترابطتان متلازمتان مستمرتان ، والفرز يكون نتيجة طبيعية لعملية التمحيص ، والله يعلم حقيقة القلوب .

من خلال هذا الفرز يتحدد النماذج المؤمنة الصالحة من النماذج السيئة . يتحدد :

1- الخبيث من الطيب :

" حَتَّى يَمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ " [آل عمران : 179]

2- المؤمن من المنافق ، والمتخلفين عن الجهاد :

" وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ تَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْعُوا قَالُوا لَوْ تَعْلَمُ فِتْنًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ " [آل عمران : 166, 177]

3- المفسد من المصلح :

" وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ " [البقرة : 220]

4- الشاكر من الذى يكفر بنعمة الله ولا يرد الأمر إليه :

" هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ " [النمل : 40]

5- الصادق من الكاذب في دعوى الإيمان والجهاد في سبيل الله والثبات على دعوته :

" وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " [العنكبوت : 3]

6- نصره دين الله وحمل دعوته :

" وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَبْذُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ " [الحديد : 25] ..

" لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَخَاطَ بِمَا كَذَّبْتُمْ " [الجن : 28]

7- تجريد الولاء لله وللمؤمنين :

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَأَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " [التوبة : 16]

8- مدى خشية الله بالغيب ، وتقواه :

" لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ " [المائدة : 94]

9- إحسان العمل فيما أعطاه الله ، سواء في أمور الدنيا أو في أمور الإيمان :

" لِيَتْلُوَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " [الكهف : 7]

10- تمحيص وتحديد درجات الإيمان ومستوياته :

" وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ " [آل عمران : 140] ..

" وَلِيُمَخِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا " [آل عمران : 141] ..

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ " [آل عمران : 142] ..

" وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " [العنكبوت : 3] ..

استمرار قدر الله بالابتلاء بأنواعه كلها :

فهى ليست مرحلة وتنتهى ، لهذا لا يركن المؤمن أبداً إلى نفسه ، ولا يستهين بأفعال الشيطان وتزيينه ، ويراجع دائماً قلبه ويسد الثغرات التى قد ينفذ منها الشيطان ، وأن يكون دائماً على يقظة وأن يسيطر على هواه . وأن يسأل الله عز وجل حسن الخاتمة : " وَإِذْ عَلَّمْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ آيَاتِنَا فَاتَّبَعُوا أَمْرًا كَثِيرًا وَكَانَ مِنَ الْمُغَابِرِينَ * وَذُكِّرُوا كَثِيرًا لِيَتَّقُوا اللَّهَ وَيَخْلُقُوا حَسَنًا وَمَا يَخْلُقُونَ إِلَّا فِي كَيْدٍ " [الأعراف : 175 , 176] ..

وعلى الفئة المؤمنة أن تعرف طبيعة الطريق إلى الله ولا تغتر ببناتها ولا يتسرب العجب إليها من توفيق الله إياها لحظة واحدة ، وعليها أن تتحلى بالعزم في مواجهة التضيق والأذى ، وبالصبر ، واللجوء لله والتحلّى بالتقوى : " وَإِنْ تَضَيَّرُوا وَتَوَلَّوْا فَرِحْنَا بِكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا " [آل عمران : 186] ..

هذا التمحيص من الله ، يمحص الإنسان في جميع أحواله وأفعاله ، من مشاعر وأقوال وأفعال ، فهو يشمل :

1- السلوك الظاهر في القول والفعل .

2- تمحيص ما في الصدور ، أي حديث النفس والمعانى التى يعتقدونها .

3- تمحيص ما في القلوب وما استقر في القلوب من معانى الإيمان والجهاد وميل القلب .

4- مدى اليقين والنصر في موعود الله .

" وَلِيَتَّبِعِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُخَيِّضَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " [آل عمران : 154] ..

درجات ومستويات لا بد من التمحيص فيها :

أ- مستوى الإيمان .

ب- مستوى المجاهدين والقيام بتبعات الجهاد .

ج- مستوى الصابرين .

د- مستوى الصادقين .

هـ- مستوى الإحسان .

يكذلك يبشر الله المؤمنين الصابرين بمدى تكريم الله لهم :

1- رضى الله عنهم وإدخالهم الجنة بدرجاتها المختلفة .

2- اتخاذ الشهداء ، وهى منزلة رفيعة جداً .

3- أن يكونوا أولياء الله وحمله دعوته والمجاهدين في سبيله .

4- أن يحق الكافرين .

5- ألا يضرهم هذا الإبداء إذا ثبتوا وصبروا واتقوا :

" لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى " [آل عمران : 111] ..

" وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا " [آل عمران : 120] ..

" وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَخِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) " [آل عمران : 140-142] .

- وبنظرة سريعة على الابتلاءات التي تعرضت لها الفئة المؤمنة على عهد رسول الله ٢ ، نجد فيها هذه الأنواع :

1- ابتلاء التمحيص والاختبار وإرساء الإيمان وتقويته : وكان ذلك طوال الفترة المكية ، ثلاث عشرة سنة ، وكان شديداً متصلاً .

2- ابتلاء لتقويم الخلل وردّ النفوس إلى الصواب : مثال ما حدث لهم في غزوة أحد .

3- ابتلاء يُهيب الصف المجاهد لمستوى أعلى من الإيمان تمهيداً لمرحلة كبيرة من الانتصار والتمكين : مثال امتحان الصحابة في غزوة الأحزاب .

4- ابتلاء الفرز والتمحيص ، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين : ومثاله ما تعرض له المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة من ابتلاءات وفتن ومؤامرات .

- وهناك ابتلاء كان من دعاء المؤمنين مع سيدنا موسى u : " رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " [يونس : 85] .